

## معركة بلاط الشهداء:

لقد بالغ بعض المؤرخين باستشهاد الغافقي، وذكروا بان كل من كان معه من الجند المسلمين قد استشهدوا في هذه المعركة، وفي هذا الوقت كانت جيوش الفرنجة يقودها شارل مارتل والذي استنجد به الدوق أودو، بمباركة الكنيسة في أوروبا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص التي وحدت أوروبا لمحاربة المسلمين مما جعل الوالي الأندلسي عبد الرحمن الغافقي يجهز جيشاً لمواجهةهم واتجه نحو الشمال فاستولى على ميناء (بورديو الفرنسي) واستطاع فتح طولوشة حتى وصل إلى مدينة (تور) ثم اتجه نحو مدينة (بواتيه) فكانت له رغبة بإكمال المسير نحو الشمال من غير دراية ولا دراسة حول مصير الجيش الإسلامي في مثل هذه المناطق البعيدة، إذ قطع هذه المسافة من مدينة قرطبة إلى بواتيه بجيش يتكون من خمسين ألف مقاتل مقابل أربعمئة ألف مقاتل من بلاد الفرنجة من كافة المناطق الأوروبية من فرنسا وألمانيا والدنمارك والسويد وإنكلترا<sup>(1)</sup> بدأت المعركة بالقتال في شهر شعبان (114هـ / أكتوبر 732م) واستمر ثمانية أيام، وفي اليوم التاسع نشبت بين جيش المسلمين بقيادة الغافقي، وجيش الإفرنج بقيادة شارل مارتل حتى الليل وفي اليوم التالي العاشر تجدد القتال وكانت الكفة متعادلة بين الجانبين غير أن الإفرنج فتحوا ثغرة في معسكر غنائم المسلمين غيرت مسار المعركة، فعادت قوة كبيرة من فرسان المسلمين إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم وقد نجحوا في رد المهاجمين وحدث الخلل في صفوف المسلمين، وحاول عبثاً القائد عبد الرحمن الغافقي أن يعيد النظام في صفوف المسلمين لكنه أصيب بسهم، وبذلك فقد حياته وامت الفوضى في الجيش الإسلامي وكثر القتل في صفوفهم، حتى جاء الليل واقترب الجيشان.<sup>(2)</sup> لقد قرر الزعماء في جيش المسلمين الانسحاب من المعركة ليلاً نحو الجنوب قاصدين مدينة أربونة إذ إنها قاعدة جيش المسلمين، ففضل جيش المسلمين الانسحاب من المعركة، إذ غادروا المكان من دون أن يشعر بهم أحد تاركين خيامهم وأمتعتهم ليوهموا الإفرنج بوجودهم، واستشهد في هذه المعركة أعداد كبيرة من المسلمين لذلك سميت بـ(بلاط الشهداء)<sup>(3)</sup>. وبذلك تكون نهاية الوالي الأندلسي عبد الرحمن الغافقي باستشهاده في أرض المعركة، وتولي (عبد الملك بن قطن)<sup>(4)</sup> خلفاً عنه<sup>(5)</sup>. وفي صباح اليوم التالي لم يجرؤ قائد الفرنجة شارل مارتل على مطاردة جيش المسلمين خشية أن يكون ذلك كميناً أو لأنه آمن على مملكته من أي خطر خارجي واكتفى بتفقد خيم وغنائم المسلمين<sup>(6)</sup>. إن اختيار قرار الانسحاب ليس بالهزيمة لأنهم رأوا

(1) ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص204؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص306؛ مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، ص25؛ كاظم، ماهر صبري، دراسات في التاريخ الأندلسي، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة، القاهرة - مصر، 2009م، ص15-34.

(2) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص101؛ عنان، دولة الإسلام، ج1، ص97 و98؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص138؛ ابن محمود، نور الدين، فتح العرب فرنسا وما وراء جبال البرانس، بحث منشور في مجلة العربي، العدد122، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1969، ص76؛ ر. دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا- الحروب الأهلية، ترجمة: حسين حبشي، مراجعة: جمال محرز ومختار العبادي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، دار المعارف، الجزء الأول، القاهرة، 1963م، ص155.

(3) الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (ت: 488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في فكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي البناء والشعر، قدم له وضبط فهارسه: صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، شركة أبناء شريف الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، 2004م، ج7، ص265 و266؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص28.

(4) هو: عبد الملك بن قطن الفهري، أحد ولاية الأندلس تولى الولاية في شهر رمضان عام 114هـ بعد استشهاد الغافقي وقد تولى هذا المنصب من الوالي الأفريقي، توفي عام 132هـ. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج1، ص458؛ الضبي، بغية الملتبس، ج2، ص496 و497؛ ابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت: 403هـ/1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، شركة أبناء الشريف الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 2006م، ج1، ص458؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: 599هـ / 1202م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، 2008م، ج2، ص496 و497.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس، ص93؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص458؛ ابن القوطية، تاريخ فتح الأندلس، ص10؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص306؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص39؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص223؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص146.

(6) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص101 و102؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص98 و99؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص145؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص137؛ العدوي، المسلمون والجرمان، ص192.

أن الاستمرار في القتال ربما لا يجدي نفعاً وهذا قرار عسكري كبقية القرارات في الأعمال الحربية السابقة.<sup>(7)</sup>

وقد اختلف المؤرخون في تحديد موقع المعركة فتكون مرة قريبة من مدينة تور ومره أخرى في ضواحي بواتيه وقد تجمع تسمية المعركة بينهما<sup>(8)</sup>.

فندت هذه الرواية فيما يتعلق بالغنائم وعدها أسطورة لا أساس لها من الصحة معللاً ذلك بأن الجيش الإسلامي عرف عنه بتمسكه بأهدافه العليا وهي نشر الدين الإسلامي، ولم تساعد الظروف الجغرافية والمناخية جيش الغافقي فقد عرفت عن تلك المنطقة بصغر مساحتها وكثرت تلالها الوعرة والمنخفضة ومن ثم قيّدت حركة جيش المسلمين الذي اعتاد على الحركة السريعة، فضلاً عن سوء الأحوال الجوية من حيث تميز ذلك الشهر ببرودة الجو وسقوط الأمطار<sup>(9)</sup>.

#### أهم أسباب خسارة المسلمين في معركة بلاط الشهداء:

- 1- استشهاد قائد المعركة الوالي الأندلسي عبد الرحمن الغافقي مع عدد من قوّاده وجنده .
- 2- بعد ميدان المعركة عن مركز الدعم العسكري والتموين عن مدينة قرطبة .
- 3- طول مدة المعركة أنهكت جيش المسلمين وأتعبتهم .
- 4- حدوث خلاف في أثناء المعركة بين العرب والبربر .
- 5- كثرة الغنائم التي كان يسحبها الجيش الإسلامي، فكانت نقطة ضعف المسلمين والتي استغلها جيش الفرنج بالالتفاف عليها من الخلف مما تراجع الجيش الإسلامي عن المعركة لإنقاذها فأنكشف قلب جيش المسلمين للعدو فحدثت كارثة باستشهاد عدد كبير من المسلمين

6- لم تساعد المسلمين الظروف الجوية التي كانت تسودها الأمطار ولا طبيعة الأرض الوعرة في أثناء المعركة .

7- عدم وجود خطة محكمة للقتال .

8- عدم تكافؤ القوتين في الأعداد والعدة والعتاد<sup>(10)</sup> .

لا توجد معلومات كافية عن هذه المعركة في المصادر الإسلامية بسبب خسارة المسلمين فيها، لكن المصادر الأوربية أسهبت بمعلومات واسعة عنها، لأن لهذه المعركة أهمية كبيرة وفاصلة وحاسمة لأنها أنقذت أوروبا من السقوط على يد المسلمين لعدم وجود شيء يوقفهم، وبعد عودة ما تبقى من جيش المسلمين إلى الأندلس خشي جيش الفرنج أن تكون لهم مصيدة فلم يلحقوا بالجيش الإسلامي واكتفوا بإرسال الجواسيس الأندلسي ليتحرروا عن أربع حقائق وهي : (الشباب – التجار – المرأة – العلم) وعندما عادوا أخبروا قياداتهم بأن وضع الشباب مهتمين برمي السهام والتصويب والتدريب، أمّا وضع النساء فيكتبن المصاحف بالخط العربي الكوفي ويعلمن الناس القراءة والكتابة، ولا يوجد أحد لا يعرف القراءة والكتابة، أمّا وضع التجار فهم أمناء صادقين، فقرروا عدم الهجوم على الأندلس فكان المجتمع متماسكاً وقوياً، غير أن مواطن الضعف في الأندلس كانت تكمن في الصراع الداخلي بين اليمانيين والحجازيين (القيسية والمضرية)، وكذلك في القبيلة الواحدة نفسها، والخطر الخارجي المتمثل بممالك الفرنج الشمالية والتطرف الديني الذي يظهر بين الحين والآخر فقد ظهرت مجموعة متشددة في الدين في بلاد المغرب العربي لأنهم شعروا بالظلم من ولاية بني أمية بهجومهم على الأندلس في عصر والي الأندلس عبد الملك بن قطن الذي استطاع التصدي لهم بنجاح، وظهرت من العلماء دعوة إلى الرجوع لأصل الدين الإسلامي في التسامح والوسطية<sup>(11)</sup> .

(7) العدوى، المسلمون والجرمان، ص191.

(8) أرسلان، تاريخ الغزوات العرب، ص100-101؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص194؛ عنان تاريخ دولة الإسلام، ج1، ص97.

(9) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص197.

(10) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص27 و28؛ العامري، تاريخ بلد الأندلس، ص46-49.

(11) ابن خلدون، العبر، ج4، ص119؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص61.

وفي هذا الوقت تمكن (الفونسو الأول) من توحيد منطقة صخرة بلاي بجمع الشتات بعد المنازلات مع المسلمين فهو المؤسس للمملكة النصرانية في الشمال التي لها أثر كبير في تاريخ الأندلس التي سميت في ما بعد بـ (حروب الاسترداد)<sup>(12)</sup>

في عام (132هـ / 750م)، انهارت الدولة الأموية في المشرق بمقتل آخر خليفة أموي (مروان بن محمد) عندما قدم العباسيون الذين أقاموا دولتهم في العراق يتبعون أمراء بني أمية ويطاردونهم للبطش بهم وقتلهم أينما حلوا فاخترقوا من استطاع منهم وأعلنوا أماناً كاذباً لهم في ولايات الدولة الإسلامية، حتى دبروا لهم (مذبحة أبي فطرس) في فلسطين فقد قتل فيها أعداد كبيرة ونجى عدد قليل منهم<sup>(13)</sup>

كان آخر ولاية الأندلس (يوسف الفهري) الذي تلقى أخبار سقوط الدولة الأموية في دمشق فكان يراقب التطورات السياسية السريعة في المنطقة فقد انشغل بهذه التغيرات والصراع الداخلي والثورات داخل الأندلس، فكانت الأحوال مضطربة<sup>(14)</sup>

كان من بين الفارين من المشرق أمير من أمراء بني أمية هو (عبد الرحمن الداخل) الذي تنقل بين المدن والولايات الإسلامية ووصل إلى فلسطين ومصر وليبيا وتونس حتى استقر في المغرب الأقصى فالتجأ إلى أخواله من البربر واتصل بزعماء موالى من بني أمية في الأندلس، فأرسل لهم رسائل كثيرة فرد عليه بعضهم فدار حوار مع أحدهم فقال له عبد الرحمن ما اسمك؟ فأجاب "تمام وكنيتي أبو غالب" فرد عليه عبد الرحمن : "الله أكبر سيتم الله لنا ونغلب إن شاء الله"، فبعث رسوله (بدرا) اليهم ليستطلع الأخبار والاتصال بوالى الأندلس يوسف الفهري لمساعدته فتلقى منهم القبول فعبّر إلى الأندلس ولقب بالداخل لأنه أول من دخل من بني أمية في عام (138هـ / 755م)<sup>(15)</sup> كانت رحلته من الساحل المغربي قرب مدينة (وجده) حتى وصل إلى الضفة المقابلة من ساحل (المنكب) فبدأ الاتصال بأهل الأندلس في الجنوب ليعرف بنفسه للناس، فزار العديد من البيوت حتى البربر تعاطف معه فبعث رسالة إلى والى الأندلسي يوسف الفهري يدعوه إلى توحيد الأندلس لكنه رفض طلبه ثلاث مرات، بل جهز جيشاً لقتاله فاستعان عبد الرحمن الداخل بقائد اليمانيين في إشبيلية (أبو الصباح اليحصبي) الذي وافق على طلبه واتصل باليمنيين فبايعه مصافحة أعداد كثيرة من المسلمين حتى استعد الطرفان للقتال في معركة (المصاراة) بقرطبة التي انهزم فيها الفهري، ولم يلاحقه أحد، فاننصر عبد الرحمن الداخل لان اليمانيين أحبوه لتواضعه ودخل مدينة قرطبة وسمّى نفسه أمير وأعلن دولة الإمارة في الأندلس وقطع الدعاء للخلافة العباسية<sup>(16)</sup>

**أهم مميزات عصر الولاية:**

- 1- انتشار الدين الإسلامي واللغة العربية في الأندلس .
- 2- تقسيم الأندلس إدارياً إلى خمس ولايات .
- 3- التنافس على السلطة والتنافس بين القبائل العربية أنفسهم، والصراع مع البربر على المناصب الإدارية .
- 4- استكمال عمليات الفتح الإسلامي لبقية المدن بتنظيم الحملات العسكرية عرفت في الصيف بالصوائف وفي الشتاء بالشواتي .
- 5- ظهور العصبية العربية بين البلديين والشاميين وبين القبائل القيسية والمضرية وبين العرب والبربر .
- 6- ظهور نواة الممالك الإسبانية وتهديد الأندلس بين الحين والآخر .
- 7- توطيد دعائم الحكم في الأندلس وثباتها أمام خطر الفرنج<sup>(17)</sup>

(12) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص39 ؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، الطبعة الثالثة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2010م، ص106-114.

(13) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص60-119

(14) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص65-69 .

(15) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعمال، ج2، ص8-12 .

(16) السلمي الأندلسي، كتاب التاريخ، ص136؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص39-47 ؛ مصطفى، شاكر، الأندلس في التاريخ، د. ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، 1990م، ص27-31 .

(17) ينظر : الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص23 ؛ عباس، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص80 و81 .

